Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 3 (2024) • P: 71 - 58
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The verbal act in the heritage text "the text of Ismail bin Abi Al-Jahm and Hisham bin Abdul Malik as a model" - a pragmatic study

Dr. Rashid Hamoud Al-Farraj
Ministry of Education | Saudi Arabia

Received: 09/04/2024
Revised: 20/04/2024
Accepted: 23/05/2024
Published: 30/06/2024

* Corresponding author: alfrajr7@gmail.com

Citation: Al-Farraj, R. H. (2024). The verbal act in the heritage text "the text of Ismail bin Abi Al-Jahm and Hisham bin Abdul Malik as a model" - a pragmatic study. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(3), 58 – 71. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R090424

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This research discusses the speech act in the traditional text 'The text of Ismail bin Abi al-Juhm and Hisham bin Abdul Malik as a model,' studying it from a pragmatic perspective. It begins by dividing the speech act into locutionary, illocutionary, and perlocutionary acts, and considers its function, ethics, and aims to highlight the text in several aspects including: its documentation, the category it has been placed in by authors, and clarifies the interaction of the text between the speakers and the extent of their connection and relationship, and the commitment of each to the ethics of the speech act, and demonstrates each one's method of persuading the other through the speech act by explaining its function.

Keywords: Speech act, heritage text, conversational implicature, presupposition, function of language.

الفعل الكلامي في النص التراثي "نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك أنموذجًا" دراسة تداوليَّة

الدكتور / راشد حمود الفراج
وزارة التعليم | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يتحدث هذا البحث عن الفعل الكلامي في النص التراثي "نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبد الملك أنموذجًا" ويدرسه دراسة تداوليَّة، منطلقًا من تقسيم الفعل الكلامي إلى فعل: لفظي، وإنجازي، وتأثيري، ومن حيث وظيفته، وأخلاقيَّاته، ويهدف إلى إبراز النص من عدة نواحي منها: توثيقه، وفي أي قسم وضع عند المؤلفين له، ويوضح أيضا تفاعل النص بين المتكلمين ومدى ارتباطهما وعلاقتهما، ومدى التزام كل منهم في أخلاقيات الفعل الكلامي، وبيان طريقة كل منهم في إقناع الآخر عن طريق الفعل الكلامي في بيان وظيفته.

الكلمات المفتاحية: الفعل الكلامي، النص التراثي، الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق، وظيفة اللغة.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعدُ:

فالنص التراثي له قيمته الأدبية العالية في ألفاظه ومعانيه، وفي نفوسنا، وهو قابل لقراءته من عدة جهات لتوضيح نفائسه وإبراز مكنوناته، واستخراجها عن طريق الدراسات الحديثة، فكان مجالنا في البحث حول هذه الخصوصية، وبالتركيز على البلاغة باعتبارها المفتاح للدراسات اللغوية والتطبيقية ودراسة أثرها على المتلقي، فكما هو معلوم أن اللغة وظيفتها الأساسيَّة التواصُل، فانبثقت من هذا الأساس عدَّة تيارات تدرس هذه اللغة سواء من جهة أو من عدة جهات، ومن هذه التيارات الدرس التداولي الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه في الحقيقة.

والتداوليَّة عند (موريس) هي التي تعني: "العلاقات بين العلامات ومستخدميها" (روبل، 2003، ص29). وخلاصة ذلك جعل (موريس) التداوليَّة جزءًا من السيميائية. فلم تكن علمًا بذاتها، إذ اقترنت بعلم العلامات. بل لها معنى أوسع عند مسعود صحراوي فهي: "إيجاد القوانين الكليَّة للاستعمال اللغوي والتعرُّف على القدرات الإنسانيَّة للتواصل اللغوي" (صحراوي، 2005، ص16).

وخلاصة ذلك أنها تدرس اللغة عند التواصل وأثرها على السامع، وكثير من الدراسات العربية عرفت في هذا الدرس الجديد وما أنتجته في الحقل المعرفي، فمن ناحية تصنيفها يعدُّ الهولندي (هانسون) أول من قسم درجات التداوليَّة بطريقة نظاميَّة ومستقلَّة حتى الآن؛ فقد بيَّن: أهم التفريعات التي وسعتها التداوليَّة في امتداداتها، وقدَّم في 1974 تصورًا متميزًا، وهو الأول من نوعه، يهدف من خلاله إلى توحيد أجزائها، وقد قسَّم التداوليَّة إلى ثلاث درجات: تداوليَّة الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشاريَّة ضمن استعمالها. تداوليَّة الدرجة الثانية: دراسة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفَّظ بها في الحالات الهامة. تداوليَّة الدرجة الثالثة: نظريَّة أفعال الكلام. (فرانسواز، 1997، ص38). وما يهمنا بعد هذه المقدمة هذه الدرجة.

أهمية البحث

وتكمن أهمية هذا الموضوع في احتواء تراثنا على طائفة من النصوص العالية القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة، ومختار كلام العرب، مقرونةً بفَنِّ النقد والموازنة، وأطراف غريب اللغة ونادرها، وطائفة من قصص العرب والعجم، وكلام الأعراب في باديتهم، إلى بعض مسائل العربية والتاريخ، وتميزها بالدقة والأمانة في النقل والرواية، ما حدا بي إلى اتخاذ هذا النص في بيان مزاياه والوصول إلى مقاصده والولوج إلى كنوزه والإبحار في أعماقه، فكان هذا البحث الموسوم (**أفعالُ الكلام في نص إسماعيل ابن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك، دراسة تداوليَّة**)، فكان هذا النص زاخرا بالأساليب الحوارية ومتنوعا مزواجا بين الأساليب الخبرية والإنشائية، بوصفه مجالا ثريا يتناسب مع هذه الدراسة معتمدا على استخراج الفعل الكلامي منه وبيان إنجازيته وتأثيره في الخطاب.

أهداف البحث

استثمار نظرية أفعال الكلام في قراءة النص التراثي؛ لتوضيح بعدها الاجتماعي والأخلاقي، ويهدف إلى الوقوف على صوره في النص والإفصاح عن مقاصد المتحاورين.

أسئلة البحث

ما مدى تطبيق الدراسة التداولية في الفعل الكلامي، وأثرها على النص التراثي:(نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك أنموذجاً) دراسة تداولية؟

ما هي أخلاقيات الفعل الكلامي في النص التراثي:(نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك أنموذجاً) دراسة تداولية؟

ماهي وظيفة الفعل الكلامي في النص التراثي:(نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك أنموذجاً) دراسة تداولية؟

الدراسات السابقة

أما عن الدراسات السابقة التي تعرضت لهذا النص لاستكشاف الأفعال الكلامية فيه فلم أر- على حد اطلاعي وبحثي- دراسة قد وقفت عليه أو تناولته في ضوء نظرية الأفعال الكلامية.

منهج البحث

وانطلقت هذه الدراسة من المنهج التداولي المعني بالمقتضيات العلمية والمعرفية والمنهجية وينظر إلى اللغة في استعمال الناطقين بها في مقام التواصُل، وتعالج شروط التبليغ والتواصُل اللذَيْن يقصد إليهما الناطقون من وراء استعمال اللغة، واتخاذ هذا المنهج منطلِقًا من تعريفات التداوليَّة التي ركَّزت على دراسة استعمال اللغة في الخطاب(طه عبدالرحمن،2000، ص28)

محاور البحث

جاء البحث في خمسة مباحث:

المبحث الأول: تمهيد عن نظرية أفعال الكلام

المبحث الثاني: توثيق النص

المبحث الثالث: تصنيفات سيرل في الفعل الكلامي.

المبحث الرابع:أخلاقيات الفعل الكلامي.

المبحث الخامس: وظيفة الفعل الكلامي.

ثم ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها نتائج ما خرج به البحث، وثبت المصادر والمراجع.

سائلين المولى التوفيق والسداد.

المبحث الأول: تمهيد/ نظرية أفعال الكلام:

تشكل نظرية أفعال الكلام الجزء الأهم في المقاربة التداولية خاصَّة مذهبًا لسانيًّا جديدًا يفرض نفسه وجهود (أوستين وسيرل) واضحة في بيانها، ففي محاضراته في نظرية أفعال الكلام تطرق أوستين بالإنجاز الذي "يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة"(صحراوي، 2005، ص10) ، أفعال لا تنتج أقوالاً ذات بنية داخلية مكونة من فعل وفاعل وجملة وشبه جملة وإنما تنتج أقوالاً مخصوصة من حقها التأثير والإنجاز، فهو يمثل عين المنهج التداولي ومن تجليات الفكر اللساني وهو النظرة التفاعليَّة الاجتماعيَّة عن اللغة. فهو ينطلق من تحويل الأقوال إلى أفعال ضمن سياقات خاصَّة(بيروم، 2012، ص32) ، فهناك نوعان من الأفعال (نحلة، 2002، ص43):

أفعال أخبارية، تصنف العالم الخارجي، وقد تكون صادقة أو كاذبة كالأساليب الخبرية في البلاغة العربية التي تحتمل الصدق أو الكذب ويحكم عليها بذلك، أما النوع الآخر فهي الأفعال الأدائية، فهي تنجز أفعالاً وتوصف بالنصح والوعد والاعتذار، وتقابل بالأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، فلا ينطبق عليها معيارا الصدق والكذب وإنما تؤدي أفعالاً.

ومن الجديد إدخال (مفهوم القصديَّة) في هذه النظريَّة، و"تتجلَّى القصديَّة بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغويَّة، ومراعاة غرض المتكلم، والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوفٍ للأبعاد التداوليَّة للظاهرة اللغويَّة"(صحراوي، 2005، ص10). ويعد الفعل الكلامي هو الأساس الذي تنهض عليه جميع الأفعال اللغوية، وقد عدَّ سيرل أن الجملة اللغوية تتزامن إنجازيًّا لأربعة أفعال وهي: الفعل التلفُّظي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري(المتوكل، 1986، ص109).

ولا بدَّ من التنبيه إلى اختلاف التسميات للفعل القولي مثل: الفعل التلفُّظي، والفعل التعبيري. والفعل القولي كما يُعرِّفه شكري المبخوت بأنه: "بِنيَة نحويَّة معجميَّة مرشَّحة للإنجاز المقامي"(المبخوت، 2010، ص167). وفعل القول كالنطق بجملة معيَّنة لها معنًى وإحالةٌ وترتيبٌ نحويٌّ وعُرفٌ مُتفَق عليه(السيد، 2019).

وقد ميَّز (أوستين) فعلَ القول بثلاثة جوانب وهي (السيد، 2019، ص32):

- الفعل التصويتي: يتكون التلفُّظ من سلسلة من الأصوات تنتمي إلى لغة معيَّنة.
- الفعل المركب: أي بعدما خرج الصوت في مفردات يكون على هيئة جملة نحوية طبقًا لقواعد تلك اللغة.
- الفعل الإحالي: (المعنى الدلالي)، أي يفهم المخاطب ما أحال عليه المتكلم وما أراده(إسماعيل، 2014، ص97).

وهذه العناصر لا يمكن فصلها عن بعضها، فالمعنى متوقف على الجملة النحوية، والجملة النحوية متوقفة على الفعل التصويتي، وكلها تنصهر لتُكوِّن عنصرًا متمازجًا واحدًا، فهي أفعال متلازمة يؤدِّي تحقيقُ واحدٍ منها إلى تحقيقها كلها، ويلزم من التلازم ذلك أن يكون الفعل القولي فعلاً تصويتيًّا أي متلفَّظًا به، صحيحَ التركيب والدلالة. وننوِّه على الباحث أن يكون يقظًا فبين المتكلم والمخاطب صلة وثقافة معيَّنة، يؤدي ذلك إلى تسلسل الحوار والملاءمة فيه، فهناك متكلم ومُنصت في آنٍ واحد (أركيوني، 2007، ص29) ، أما الفعل القضوي فهو: "مجموع معاني مفردات الجملة مضمومٌ بعضها إلى بعض في علاقة إسناد"(الصراف، 2010) ، ويتضمَّن المعرفة بالمحتوى الخبري لهذه الدلالة(دايك، 2000، ص236). فيكون مضمونًا له عدة قضايا متسلسلة من الأفعال الكلاميَّة تخدم قضية كبيرة(دايك، 2000، ص192) ، فتكون ملتحمة لتكوّن موضوعًا ومضمونًا، ويسبق ذلك مدلولٌ خطابيٌّ فيه معلومات مسبقة يُستعان بها في تأويل الخطاب، فهو يساعد ويربط الصلة بين نظام الجملة والفعل الكلامي، وفي تفسير بعض المفاهيم والصلات بين المتحاورين يُسمى الافتراض المسبق؛ فهي معلومات مسبقة تكون متضمَّنة في الملفوظ، يستخرج من النص ذاته(قريماس، 2020، ص557).

أما الفعل الإنجازي فهو الركيزة الأساسية عند (أوستين) فيعني الفعل الذي يتم إنجازه في قولٍ ما، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ إذ إنه عمل ينجز بقول (ما) عند المتكلم. وهو لُبُّ النظرية لأنه قد يقصد بإيراده عدة وظائف مثل: وظيفة الاستعمال: كالأمر، والنصح، والإرشاد، والتحذير،

والتهديد...(لونجي، 2020، ص28) ، ووظيفة الالتزام: كالوعد، والوفاء...، ويشترط (أوستين) لتحقيق هذه الوظيفة المعرفة بالسياق وأنواعه وألفاظ المتكلمين والبيئة المحيطة بهم(عمران، 2007، ص56). واقترح أوستين تصنيفًا للأفعال الكلامية، ثم أدخل (سيرل) تعديلاً على تصنيف (أوستين)، وجعله أكثر شمولاً، وأكَّد أن الخطاب له عدة استعمالات في اللغة، إما أن يخبر الناس عن أحداث أو يصفها فهي تعد من صنف الإخباريات، أو يؤثر عليهم حتى يحصل المطلوب بفعلهم وهي تحت صنف التوجيهيات، أو يلزم المتكلم نفسه بشيء أو عمل مستقبلي، وبمقدوره الإيفاء به فهو تحت صنف الإلزاميات، أو قد يعبر المتكلم عن خلجات ما يحسه وشعوره تجاه قضية معينة، فذلك تحت صنف التعبيريات، وقد يكون المتكلم يمتلك مكانة إما في مؤسسة أو غيرها، ويمتلك الحق في إصدار الأحكام كالحاكم والقاضي وتكون غالبًا أفعال الكلام فيها مفردةً ومن فعل واحد، فهذا داخل تحت صنف الإعلانيات(الشهري، 2004، ص158).

وكان تصنيفه الآتي (موشلر، 2010، ص76):

أولاً: التقريرات والإخباريات، يتعهَّد المتكلم فيها أن محتوى ألفاظه حقيقي وكلماته تطابق العالم الخارجي مثل الكلمات: أؤكد، أستنتج، أقرر، أفترض، أنكر، أصف، أخبر...إلخ.

ثانيًا: التوجيهيات والطلبيات، يحاول المتكلم التأثير على السامع لفعل شيء ما، لفظي أو غير لفظي مثل: يسأل، يتحدى، يطلب، يأمر، ينهى، يحذر، يهدد... فهنا التغيير يكون خارجيًّا من قِبل السامع بطلبٍ من المتكلم.

ثالثًا: الالتزاميات والوعديات والتعهدات، يتعهد المتكلم نفسَه بعملٍ ما: أضمن، أتعهَّد، أعِدُ، أُقسِم، أكفُل، ألتزِم، أقبل... ويكون المتكلم نفسه هو الذي يلتزم بالقيام بعملٍ ما.

رابعًا: التعبيرات (المعبرات)، يعبر المتكلم عن موقفه تجاه حالة معيَّنة، وهو التعبير عن حالة نفسية يحدِّدها شرط صدق النية المتعلق بموقفٍ ما، يركز على المشاعر والعاطفة مثل: يشكر، يعتذر، يهنئ، يرحب، يرثي...

خامسًا: الإعلانيات والإيقاعات، هي أفعال يتغير العالم بعد النطق بها كأن يغير ظرفًا خارجيًّا مثل: أنا أستقيل، أنت مطرود، إصدار حكم من القاضي...

وبعد أن ذكرنا الفعل اللفظي والفعل الإنجازي، فلا بد لهما من أثر على السامع(غراند، 1992، ص55) ، فإذا كان هناك فعل إنجازي فإنه يترتب عليه في الغالب آثار على مشاعر المخاطب أو أفكاره أو تصرفاته(صحراوي، 2005، ص42) ، والفعل الكلامي قد يكون فعلاً كلاميًّا مباشرًا مثل: خذ الكتاب، أو غير مباشرٍ مثل: خذ الكتاب إن استطعت!

فيكون تعريفهما الآتي: **الفعل الكلامي المباشر**: صريح في الدلالة على الغرض من الكلام إخبارًا أو طلبًا(لونجي، 2020، ص26) ، أي لا مجال في فهمهما فهمًا عميقًا، فبمجرد النطق بها يقصد معناها الحرفي، كما في مثالنا السابق: "خذ الكتاب، واذهب إلى فلان". والقسم الثاني، **الفعل الكلامي غير المباشر**: مشتق من الفعل الكلامي المباشر، ومتولد عن استعمال أساليب وعبارات للدلالة على غيرها، و"تتحقق هذه الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة بواسطة قوة إنجازيَّة مستلزمة مقاميًّا"(السيد، 2019، ص155) ، ومثاله: لو سأل أحدهم وقال: هل إسماعيل بن أبي الجهم خليفة؟ فأجاب أحدهم: بل يعد من حكماء قريش، فالجواب غير ما طلب السائل، لكنه فهم من الإجابة أنه ليس خليفة، وهذا ما يُسمى بالاستلزام الحواري نُفصِّله في حينه إن شاء الله.

إذًا الأفعال الكلامية لها عدة تصنيفات كما ذكرنا عند سيرل، وبيَّنَّا المباشر وغير المباشر، تأتينا إشكالية، إذا كان هناك أكثر من فعل كلامي في الجملة.. فما الطريقة السليمة لتحليل النص التراثي إزاء ذلك؟ يجيب على ذلك (فان دايك) الذي سمى هذه الأفعال الكلامية الجزئية **تداولية (صغرى)**، وهذه التداولية تندرج تحت فعل كلامي كلي، وسماه **تداوليَّة (كبرى)** (دلاش، 1992، ص31).

بعد هذه الجولة في التعريف بنظرية أفعال الكلام، نُنوِّه على أمرٍ مهم وهو أن هذه النظرية انطلقت من اللغة العادية، وأُجريت الدراسة عليها؛ فعلينا بوصفنا باحثين التحرز من النقل والتطبيق على نصوصنا التراثية؛ لأن نصوص التراث لها قيمة عالية ومميزات لا يعرفها إلا مَن عرف السجل المعرفي، والسجل المعرفي أو ما يُسمى بالمعرفة المشتركة هي: جملة من المعارف والتصورات يشترك فيها المتكلم مع المخاطب في بيئة معينة(عبد الرحمن، 1998، ص152). فهي ضرورية للمعرفة حتى ينجح التواصل بينهما، وضروري للباحث معرفتها حتى يكون التحليل للنص مصيبًا(عبدالرحمن، 1998، ص152). وتتكوَّن هذه المعرفة والبيئة من خلال المعارف والأخبار التي يعلمها المخاطبون(الباز، 2015، ص364). والسابقون من نُقَّادنا لم يُهملوا السجل المعرفي، كأمثال ابن جني: "وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرفَ الناس بسَعة مذاهبها وانتشار أنحائها، جرى خطابهم مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عُرفهم وعاداتهم في استعمالها"(الموصلي، 1999، ص250/3) ، فمن يحلل النص التراثي يجب أن يكون لديه الخبرة الكافية والمعرفة الرصينة في سياقات النص ومحيطه، وأحوال المتكلمين، وبيئتهم، وثقافتهم، حتى يخرج بتحليل ذي أثر فعَّال، ويصل للهدف المنشود من ذلك، والله ولي التوفيق.

النص التراثي: "نص (هشام بن عبدالملك وإسماعيل بن أبي الجهم) أنموذجًا"

أَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عبداللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ، مَوْلًى لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عبدالْمَلِكِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خُطَبَاءُ أَهْلِ الْحِجَازِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا. قَالَ: فَحَضَرْتُ كَلَامَهُمْ رَجُلاً رَجُلاً، حَتَّى قَامَ ابْنُ أَبِي جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَعْظَمَ الْقَوْمِ قَدْرًا، وَأَكْبَرَهُمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خُطَبَاءَ قُرَيْشٍ قَدْ قَالَتْ فِيكَ فَاحْتَفَلَتْ، وَأَثْنَتْ فَأَطْنَبَتْ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغَ قَائِلُهُمْ قَدْرَكَ، وَلَا أَحْصَى مُطْنِبُهُمْ فَضْلَكَ، أَفَأُطِيلُ أَمْ أُوجِزُ؟ قَالَ: بَلْ أَوْجِزْ قَالَ: تَوَلَّاكَ اللَّهُ بِالْحُسْنَى، وَزَيَّنَكَ بِالتَّقْوَى، وَجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، إِنَّ لِي حَوَائِجَ أَفَأَذْكُرُهَا؟ قَالَ: اذْكُرْهَا. قَالَ: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرِي، وَأَنْ يَنْفِيَ فَقْرِي فَعَلَ. قَالَ: وَمَا الَّذِي يَجْبُرُ كَسْرَكَ، وَيَنْفِي فَقْرَكَ ، قَالَ: أَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ. قَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابنَ أَبِي جَهْمٍ، رُمْتَ مَرَامًا صَعْبًا. بَيْتُ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتَ. ثُمَّ أَطْرَقَ هِشَامٌ طَوِيلاً، ثُمَّ قَالَ: هِيهَ. قَالَ: مَا هِيهَ؟ وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ آلَيْتَ لَا تَقْضِي لِي حَاجَةً فِي مَوْقِفِي هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاحِدٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عز وجل آثَرَكَ بِمَجْلِسِكَ هَذَا، فَإِنْ تُعْطِ فَحَقًّا أَدَّيْتَ، وَإِنْ تَمْنَعْ فَإِنِّي أَسْأَلُ الَّذِي بِيَدِهِ مَا حَوَيْتَ. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً، وَاللَّهِ لَأَنْ أُحِبَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْغِضَكَ. قَالَ: وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟ قَالَ: أَقْضِي بِهَا دَيْنًا قَدْ أَحَمَّ قَضَاؤُهُ، وَقَدْ فَدَحَنِي حَمْلُهُ، وَأَضَرَّ بِي أَهْلُهُ. قَالَ هِشَامٌ: فَلَا بَأْسَ تُنَفِّسُ كُرْبَةً مَعَ أَدَاءِ أَمَانَةٍ. وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟ قَالَ: أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِي. قَالَ: نِعْمَ الْمَسْلَكُ سَلَكْتَ، أَغْضَضْتَ بَصَرًا، وَأَعْفَفْتَ فَرْجًا، وَرَجَوْتَ نَسْلاً. وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟ قَالَ: أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ فِيهَا وَلَدِي، وَتَكُونُ أَصْلاً لِمَنْ بَعْدِي. قَالَ: فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ. قَالَ: فَالْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُ عز وجل. قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ فَأَتْبَعَهُ هِشَامٌ بَصَرَهُ قَالَ: إِذَا كَانَ الْقُرَشِيُّ فَلْيَكُنْ مِثْلَ هَذَا. مَا رأيتُ رَجُلاً أَبْلَغَ وَأَوْجَزَ فِي مَقَالِهِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي ثَنَاءٍ مِنْهُ. أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافَ وَالْبُخْلَ، فَمَا نُعْطِي تَبْذِيرًا، وَلَا نَمْنَعُ تَقَتُّرًا، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ عز وجل فِي بِلَادِهِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَيْنَا، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ قَائِلٍ يَصْدُقُ، وَكُلَّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ، مَا جَهْنَا قَائِلاً، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلاً، فَسَلُوا الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتُحْفِظْنَا أَنْ نُجْرِيَهُ لَكُمْ عَلَى أَيدِينَا، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أَبْلَغْتَ، وَمَا بَلَغَ فِي قَدْرِ عُجْبِكَ بِهِ مَا كَانَ مِنْكَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ، وَذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ. قَالَ: إِنَّهُ الْمُبْتَدِي وَلَيْسَ الْمُبْتَدِي كَالْمُقْتَدِي"(القرشي، 1989، ص131).

المبحث الثاني: توثيق النص

ورد هذا النص في كتاب مكارم الأخلاق أول مرة عند أبي بكر البغدادي الملقَّب بابن أبي الدنيا 281هـ، وهو النص المذكور آنفًا. ثم في كتاب العقد الفريد عند أبي عمر شهاب الدين الأندلسي 328هـ، ثم عند أمالي القالي أبي علي القالي: 356هـ، ثم في كتاب "المستجاد من فعلات الأجواد" لمحسن بن علي التنوخي البصري 384هـ، ثم في كتاب "لباب الآداب" لأسامة بن منقذ 584هـ، ثم في كتاب "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" لأبي عبدالله محمد بن علي الشافعي ت630هـ، ثم في كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" لأحمد علي القلقشندي 821هـ، ثم في "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة" لأحمد زكي صفوت.

أما ما ذكرنا في النص الأول فقد اتفق فيه البغدادي وأبو شهاب الدين الأندلسي في عقده على ذلك، أما التنوخي والقالي فأتى به عن طريق الهذلي ثم عبدالرحمن الأصمعي عن عمه عبدالملك بن الأصمعي ووقفا في النص عند: "هكذا فليكن القرشي"(البصري، 2005، ص61).

1- النص الأول:

إذًا النص الأول ينتهي عند: "إنه المبتدي وليس المبتدي كالمقتدي"(الصراف، 2010، ص115).

2- النص الثاني:

ينتهي النص الثاني عند: "هكذا فليكن القرشي".

سياق النص عند المؤلفين

استشهدوا بالنص كلهم في عدة أبواب فقد جاء النص في كتاب "مكارم الأخلاق" في باب الجود وإعطاء السائل، وفي "العقد الفريد" في أخبار هشام بن عبدالملك، وعند "أمالي القالي" في باب مطلب خطبة إسماعيل بن أبي الجهم عند هشام بن عبدالملك، وفي "المستجاد من فعلات الأجواد" في باب حكايا الأجواد، وفي "صبح الأعشى" في المقصد الثاني في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلاً إلى معرفة ما يحتاج إلى حفظه، وفي "جمهرة خطب العرب" في باب وفد أهل الحجاز على هشام بن عبدالملك.

وبعد أن وضحنا لِمَ استشهدوا بهذا النص، ننتقل لبيان الفعل القضوي، وقبل أن أدلف إليه أُبيّن الفعل القولي للنص كاملاً، **ففي النص أكثر من فعل تلفظي نذكره:**

- إسماعيل بن أبي جهم: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ خُطَبَاءَ قُرَيْشٍ قَدْ قَالَتْ فِيكَ فَاحْتَفَلَتْ، وَأَثْنَتْ فَأَطْنَبَتْ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغَ قَائِلُهُمْ قَدْرَكَ، وَلَا أَحْصَى مُطْنِبُهُمْ فَضْلَكَ، أَفَأُطِيلُ أَمْ أُوجِزُ؟

- هشام بن عبدالملك: بَلْ أَوْجِزْ.
- إسماعيل بن أبي جهم: تَوَلَّاكَ اللَّهُ بِالْحُسْنَى، وَزَيَّنَكَ بِالتَّقْوَى، وَجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، إِنَّ لِي حَوَائِجَ أَفَأَذْكُرُهَا؟
- هشام بن عبدالملك: اذْكُرْهَا.
- إسماعيل بن أبي جهم: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرِي، وَأَنْ يَنْفِيَ فَقْرِي فَعَلَ.
- هشام بن عبدالملك: وَمَا الَّذِي يَجْبُرُ كَسْرَكَ، وَيَنْفِي فَقْرَكَ.
- إسماعيل بن أبي جهم: أَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ.
- هشام بن عبدالملك: هَيْهَاتَ يَا ابنَ أَبِي جَهْمٍ رُمْتَ مَرَامًا صَعْبًا. بَيْتُ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتَ. ثُمَّ أَطْرَقَ هِشَامٌ طَوِيلاً، ثُمَّ قَالَ: هِيهَ.
- إسماعيل بن أبي جهم: مَا هِيهَ؟ وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ آلَيْتَ لَا تَقْضِي لِي حَاجَةً فِي مَوْقِفِي هَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاحِدٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عز وجل آثَرَكَ بِمَجْلِسِكَ هَذَا، فَإِنْ تُعْطِ فَحَقًّا أَدَّيْتَ، وَإِنْ تَمْنَعْ فَإِنِّي أَسْأَلُ الَّذِي بِيَدِهِ مَا حَوَيْتَ. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً، وَاللَّهِ لَأَنْ أُحِبَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْغِضَكَ.
- هشام بن عبدالملك: أَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟
- إسماعيل بن أبي جهم: أَقْضِي بِهَا دَيْنًا قَدْ أَحَمَّ قَضَاؤُهُ، وَقَدْ فَدَحَنِي حَمْلُهُ، وَأَضَرَّ بِي أَهْلُهُ.
- هشام بن عبدالملك: فَلَا بَأْسَ، تُنَفِّسُ كُرْبَةً مَعَ أَدَاءِ أَمَانَةٍ. وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟
- إسماعيل بن أبي جهم: أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِي.
- هشام بن عبدالملك: نِعْمَ الْمَسْلَكُ سَلَكْتَ، أَغْضَضْتَ بَصَرًا، وَأَعْفَفْتَ فَرْجًا، وَرَجَوْتَ نَسْلاً؟ وَأَلْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا؟
- إسماعيل بن أبي جهم: أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ فِيهَا وَلَدِي، وَتَكُونُ أَصْلاً لِمَنْ بَعْدِي
- هشام بن عبدالملك: فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ.
- إسماعيل بن أبي جهم: فَالْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُ عز وجل.
- (ثُمَّ أَدْبَرَ فَأَتْبَعَهُ هِشَامٌ بَصَرَهُ)
- هشام بن عبدالملك: إِذَا كَانَ الْقُرَشِيُّ فَلْيَكُنْ مِثْلَ هَذَا. مَا رأيتُ رَجُلاً أَبْلَغَ وَأَوْجَزَ فِي مَقَالِهِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي ثَنَاءٍ مِنْهُ. أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافَ وَالْبُخْلَ، فَمَا نُعْطِي تَبْذِيرًا، وَلَا نَمْنَعُ تَقَتُّرًا، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ عز وجل فِي بِلَادِهِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَيْنَا، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ قَائِلٍ يَصْدُقُ، وَكُلَّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ، مَا جَهْنَا قَائِلاً، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلاً، فَسَلُوا الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتُحْفِظْنَا أَنْ نُجْرِيَهُ لَكُمْ عَلَى أَيدِينَا، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ.
- *أصحاب الخليفة*: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أَبْلَغْتَ، وَمَا بَلَغَ فِي قَدْرِ عُجْبِكَ بِهِ مَا كَانَ مِنْكَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ، وَذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ.
- هشام بن عبدالملك: إِنَّهُ الْمُبْتَدِي وَلَيْسَ الْمُبْتَدِي كَالْمُقْتَدِي.

الفعل القضوي

الفعل القضوي هو: "مجموع معاني مفردات الجملة مضمومٌ بعضها إلى بعض في علاقة إسناد"(الصراف، 2010، ص99) ، كما ذكرتُ في السابق، ويتضمَّن خبر الأفعال الكلامية وما تحتوي هذه الأفعال من إيماءات داخلية وخارجية(دايك، 2000، ص236).

نجد هنا المعنى الصريح مُشكَّلاً من الفعل القضوي والقوة الإنجازيَّة، فالمحتوى القضوي هو: نتاج الدلالة من ضم معاني مكوناتها فنجد من ضم هذه الكلمات بلاغة الخطاب والجود في العطاء.

بدأ النص من "إِنَّ لِي حَوَائِجَ أَفَأَذْكُرُهَا؟" بالفعل الكلامي الذي يدل على الطلب، حتى انتهى بالتأكيديات والإخباريات: "إنه المبتدي وليس المبتدي كالمقتدي".

- الافتراض المسبق

وحتى نستعين على فهم النص في الافتراض المسبق، في النص إثبات أن هناك مجلس كبير كانت الخطباء تمدح فيه الخليفة وتُثني عليه وتحتفل في ذلك اليوم، وسمع لهم جميعًا هشام بن عبدالملك. والدليل على ذلك: "حضرت كلامهم رجلاً رجلاً"، وكان يريد من الخطيب الإيجاز في كلامه لما يتخلل المستمع دائمًا الملل من كثرة ما يسمع، فلذلك قال: "أوجز".

- السجل المعرفي للنص

السجل المعرفي هو السجل العام والديني والخاص لدى المتحاورين، يكون الباحث على اطلاع واهتمام بذلك، حتى يستنبط ما يدور حول النص وداخله، ليخرج بتحليل سليم موافق للصواب، ويكون ذلك من خلال النص، والزمن التاريخي للنص، ومعرفة سلوكيات ومهنة المخاطب والمتكلم؛ حتى يتسنى الوصول إلى الهدف المقصود، ومن هنا ننطلق لنستخلص من النص أن هناك مجلسًا للخليفة يقف

عليه الخطباء ويستمع إليهم ويتكلم معهم وينصتون، ثم ينصت فيتكلمون، ولقد كانت "مجالس الخلفاء تتطور بتطور الحضارة الإسلامية، ونمو ثقافتها"(السباعي، 1999، ص259) ، وللخلفاء مجالس يأتيها العلماء، والشعراء، والفقراء ومن لهم حاجة، وهناك كتبٌ ألفت في تلك المجالس ووصفها، على سبيل المثال: "وصف مجالس الخلفاء العباسيين وملابسهم وموالهم، وحضارة دولتهم في عصر الرشيد"(الطهطاوي، 1418، ص63) ، ويتبين لنا من خلال النص احترام الكبير وتوقيره فقد قُدم إسماعيل بن جهم من قِبل أصحابه، والأثر الديني موجود في هذا النص كثيرًا من الدعاء، والثناء، والعفاف، والقَسَم بالله سبحانه، فكل ذلك موجود بالنص مما يدل على الثراء الديني في هذا النص ومن سمات الحوار بين المتحاورين، ويخبر النص بوجود أصحاب عند الخليفة يكلمهم ويكلمونه، وكما يبدو من خلاله أيضًا أنهم أصحاب ذوق سليم من خلال رأيهم في ثناء هشام بن عبدالملك على إسماعيل بن جهم.

والاستجداء عند العرب من الخلفاء أمره كثير، ومن أمثلة ذلك: دخل أعرابي على خالد القسري وقال: "أصلح الله الأمير، شيخ كبير حَدَثَه إليك بَارِيةُ العِظَام، ومُوَرِّثَة الأسقام، ومُطَوِّلَة الأعوام، فذهبَتْ أمواله، وذُعْذِعَتْ آبالُه، وتغيرت أحواله، فإن رأى الأمير أن يَجبُره بفضله، ويَنعَشَه بسَجْله، ويردَّه إلى أهله! فقال: كل ذلك. وأمر له بعشرة آلاف درهم"(البغدادي، 2019، ص46/2). ومن ذلك أيضا، كان مروان بن الحكم يفرض للناس بالمدينة، فوقف عليه أعرابي وقال: "افرض لي. فقال: طوينا الكتاب. فقال: افرض لي. فقال: قد طوينا الكتاب. فقال: أما علمتَ أني القائل:

إِذَا هُزَّ الكَرِيمُ يَزِيدُ خَيْرًا وإِنْ هُزَّ اللَّئِيمُ فَلَا يَزِيدُ

فقال له مروان: نشدتك اللهَ، أنت القائل له؟ قال: نعم. فقال: افرضوا له"(البغدادي، 2019، ص46).

ومن ذلك أيضا: جاء أعرابي إلى معن بن زائدة فقال له معن: "ما خطبك"؟ فأنشأ يقول:

أَصْلَحَكَ اللهُ قَلَّ مَا بِيَدِي فَمَا أُطِيقُ العِيَالَ إِذْ كَثُرُوا
أَلَحَّ دَهْرٌ أَنْحَى بِكَلْكَلِهِ فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ فَانْتَظَرُوا

قال: فأخذَتْ معْنًا الأريحية وجعل يقول: "أرسلوني إليك فانتظروا" والله لا تقعد أو ترجع، وأمر له بألف دينار"(البغدادي، 2019، 165).

وخلاصة ما ذكرنا أن الاستجداء من الأمراء والخلفاء أمر شائع قديمًا، ونقلت كتب الأمالي عن ذلك كثيرًا، وسنقف عند خصائص النص وما المرتكزات والمقاصد التي يتكئ عليها المتكلم حتى يؤثر على مخاطبه.

المبحث الثالث: تصنيفات سيرل(موشلر، الصرافي، 2010، ص205):

أولاً: التقريرات والإخباريات في النص:

نجد في نص هشام بن عبدالملك منها أخبارًا عدَّة منها: "كنا عند هشام بن عبدالملك، فقدم عليه خطباء أهل الحجاز من قريش وغيرها"، "إن خطباء قريش قد قالت فيك فاحتفلت"...

وغير ذلك من التقريرات والإخباريات في النص التي تؤكد بالتوكيدات والتقريرات.

ثانيًا: التوجيهيات والطلبيات:

التوجيهيات هي طلب وتوجيه للمخاطب وله عدة أساليب: استفهام، وأمر، ونفي، فالاستفهام مثاله: عند إسماعيل بن أبي الجهم: "أَفَأُطِيلُ أَمْ أُوجِزُ؟"، "إِنَّ لِي حَوَائِجَ أَفَأَذْكُرُهَا؟"، وعند الخليفة هشام بن عبدالملك: "وما الذي يجبر كسرك، وينفي فقرك؟"، "وألف دينار لماذا"؟

وبعد ذلك نأخذ أسلوب الأمر: الخليفة هشام بن عبدالملك: "بل أوجز"، "اذكرها"، "فسلوا الذي بيده.."، ثم نصل إلى أسلوب النفي: في قول الخليفة: "وَلَا نَمْنَعُ تَقَتُّرًا".

ثالثًا: الالتزاميات والوعديات والتعهدات:

يُلزِم المتكلم نفسَه بعملٍ ما: أضمن، أتعهَّد، أعِدُ، أُقسِم، أكفُل، ألتزِم، أقبل... ويكون المتكلم نفسه هو الذي يلتزم بالقيام بعملٍ ما. ومن ذلك قول إسماعيل بن أبي الجهم: "أقضي بها دينا"، و"أزوج بها مَن بلغ من ولدي"، و"أشتري بها أرضًا يعيش فيها ولدي"، وهذا الوعد منه يتم إذا أعطاه هشام بن عبدالملك المال المطلوب. فالمتكلم يتعهد بما التزم به، ويريد بذلك إقناع المخاطب.

رابعًا: التعبيرات (المعبرات)

تعبيرات نفسية: هي التي تخصُّ وجدان المتكلم وتعبِّر عن حالته النفسية، ولا تقتضي مشاركة المتلقي(الصراف، 2010، ص233). ولها عدة أنواع مثل: الإعجاب، التحمُّل الصبر، الامتنان، الكره...

كقول هشام بن عبدالملك: "ونكره الإسراف والبخل"، والإعجاب في قوله: "إذا كان القرشي فليكن مثل هذا". وقول إسماعيل بن أبي الجهم: "والله لأن أحبك أحب إلي من أن أبغضك".

تعبيرات اجتماعية: الشكر، التهنئة، التعزية...

ونجد في هذا النص شكر إسماعيل بن أبي الجهم بقوله: "فالمحمود على ذلك الله عزوجل". وثناء هشام بن عبدالملك عليه: "ولا أبلغ في ثناء منه"، وثناء أصحابه عليه: "لقد أبلغت، وما بلغ في قدر عُجبِك به ما كان منك في الرد عليه، وذكر نعمة الله عليه". فكلها تدل على شعور المتكلم والتعبير عنه تجاه المخاطب.

خامسًا: الإعلانيات والإيقاعات

الإعلانيات هي التي تصدر حكمًا بعد نطقه يغير ظرفًا خارجيًا، فهي التي تُمارس من خلالها سلطة معيَّنة(الصراف، 2010، ص204). والفعل الكلامي الإنجازي المضمَّن في القول كلام هشام بن عبدالملك: "فإنا قد أمرنا لك بما سألت"، فهو فعل إعلاني صدر من خليفة، وهو جهة عُليا أنجز فعلاً وهو الحكم على ذلك الرجل بغنائه ونفي فقره وجبر كسره. ولا ينطبق على الفعل الكلامي السابق الصدق والكذب مثل أسلوب الخبر، ولا ينطبق عليه أيضًا الأسلوب الإنشائي بمفهومه الأقل مثل: استخدام أسلوب الاستفهام مفاده التوبيخ، أو أسلوب القسم مفاده النهي، وإنما أقوال إنجازيَّة تنجز فعلاً معينًا، وهذا الفعل له موضوع وثقل اجتماعي، فهي أفعال اجتماعيَّة عند (صحراوي، 2005، ص40).

المبحث الرابع: أخلاقيات فعل الكلام (الاستلزام الحواري، مبدأ التصديق)

الاستلزام الحواري

يعدُّ الاستلزام الحواري من أهم الجوانب في الدرس التداولي، وقد انطلق (جرايس) لإنشاء نظريته من ملاحظة مُفادها أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون(نحلة، 2002، ص32). ويُشترط لتحقيق الاستلزام الحواري المعطيات الآتية: المعنى الحرفي والسياق اللغوي، وغير اللغوي، والاهتمام بمبدأ التعاون(كنون، 2015، ص75) ، وأنوّه قبل ذكر قواعد الاستلزام الحواري أن علماءنا لم يغفلوا عمَّا ذكر (جرايس) إلا أنها -المعطيات- كانت غير مرتبة ومقعَّدٍ لها كما عند السكاكي، فالاستلزام الحواري قريب من الأسلوب الحكيم في بلاغتنا حيث قال عنه: "تَلَقِّي المخاطب بغير ما يترقب"(كنون، 2015، ص327)، يحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأَولى بالقصد "أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله بمنزلة غيره"(كنون، 2015، ص327) ، وهذا نجده في رد هشام ابن عبدالملك آخرَ النص، فكان الرد خلاف ما أراده المتكلم بأن يُثني على نفسه أيضا أو يصمت، فقال لهم بعد ما أثنوا عليه: "إِنَّهُ الْمُبْتَدِي وَلَيْسَ الْمُبْتَدِي كَالْمُقْتَدِي".

فأجاب المخاطب بغير ما يترقب المتكلم أو السائل، لأهمية هذا الجواب عند هشام بن عبدالملك، وقواعد الاستلزام الحواري مستقاة من حكم كانط(فرانسواز، 1997، ص56) ، وأهم قواعد هذا المبدأ ما يأتي(صلاح، 2007، ص12):

1- قاعدة الكم: لا تتجاوز القدر المطلوب منك.
2- قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه كذب.
3- قاعدة الملاءمة: تكون الملاءمة مقبولة.
4- قاعدة الصيغة (الجهة): الوضوح، والإيجاز، والترتيب، وعدم الغموض.

وقد تُنتهك هذه القواعد لدى المتكلم فيرسل خطابه ثم يتلقَّفه المخاطب فيفهمه اعتمادًا على السياق والمعارف المشتركة بينهما(كاده، 2011، 2012، ص118) ، ومما سبق نعرف: "أن الاستلزام الحواري معيار من أهم المعايير التداوليَّة، وهو يعتمد على السياق اللغوي وغير اللغوي، ثم على خرق مبادئ الحوار التي تستلزم معنًى جديدًا، يجب على المخاطب أن يُدركه، وعندئذ يستطيع أن يفهم مقصد المتكلم ليصل إلى الهدف من اللغة وهو التواصُل"(كنون، 2015، ص78).

وعند تحليلنا لأي نص تراثي يجب علينا مراعاة مكانة المتكلم والمخاطب، كما نوه بذلك (سيرل)(الشهري، 2004، ص233) ، فالخطاب يختلف من الضابط إلى الجندي، ويختلف إذا كان من الجندي إلى الضابط، ومن الكبير إلى الصغير... ففي هذا النص قصد إسماعيل بن أبي الجهم الخليفة دون غيره، مناسبة الحال المقامَ، ولا شك أن مراعاة المكانة موجودة في تراثنا؛ فقد أورد ابن الشجري حديثًا عن هذا الموضوع حيث يقول: "لأنك تستقبح أن تقول: أمرتُ والدي، كما تستقبح أن تقول: سألتُ غلامي"(البغدادي، 2019، ص424) ، فهو عند (سيرل) ما يُسمى السلطة أو المكانة كما أسلفتُ. فالخطاب يختلف من الدرجة الأعلى إلى الدرجة الأقل، ومن الدرجة الأقل إلى الدرجة الأعلى، فمن المعروف أن السلطة "هي الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرًا ومأمورًا وأمرًا. آمرًا: له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورًا: عليه واجب الطاعة للآمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه"(الشهري، 2004، ص221) ، وإسماعيل بن أبي الجهم في طلبه واستجدائه للخليفة لديه معرفة تامة بأنه يملك ما يريد، فهو صاحب سلطة تنفيذية، فتبين ذلك من كلام الخليفة عدة مرات مثل: "بَيْتُ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتَ" فهذا يدل على أنه سيد هذا البيت ويعرف شؤونه، وكذلك: "فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ" يدل على أنه يأمر وينهى، وكذلك: "فَمَا نُعْطِي تَبْذِيرًا، وَلَا نَمْنَعُ تَقَتُّرًا، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ عزوجل فِي بِلَادِهِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَيْنَا...".

إذًا نخلُص من ذلك إلى أن هشام بن عبدالملك سلطة تشريعية، ناسب مقام ابن أبي الجهم ما سأله لمقدرته على إجابته بما يريد. ويسوغ ذلك المكانة التي يعتليها وهي مرتبة الحاكم الآمر.

والمجتمع ليس على درجة واحدة سواء في المحددات الاجتماعيَّة، فالتفاعل بينهم يحدث على جميع المستويات وفي كل الظروف، فاهتمام التداوليين بذلك لأهمية الخطاب، فالمتكلم لا يرسل خطابه جزافًا فهو يعي أن المخاطب له أسلوب خاص يختلف عن غيره، من نظام صوتي، وصرفي، ومعجمي، ودلالي، وتركيبي، فعلى ذلك يستجيب في النهاية للغة وقوانينها(الشهري، 2004، ص224)، وهنا نجح النص في التواصل بين إسماعيل بن أبي الجهم والخليفة وأصحاب الخليفة، بناءً على قواعد الاستلزام الحواري، فنجد القاعدة الأولى وهي (قاعدة الكم) ألَّا تتجاوز القدر المطلوب منك، والأفعال الكلامية في هذا النص في هذه القاعدة جلية مثل: "أَفَأُطِيلُ أَمْ أُوجِزُ؟"،" بَلْ أَوْجِزْ"، " وَمَا الَّذِي يَجْبُرُ كَسْرَكَ، وَيَنْفِي فَقْرَكَ"؟ "وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟"، " أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِي"، فهذه الأفعال الكلامية تميَّزت بالإيجاز ولم تتجاوز الحدَّ المطلوب في الحديث مع المتحاورين.

وننتقل إلى القاعدة الثانية وهي قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه كذب، ففي النص كاملاً لا يوجد هناك خبر أو إنشاء يعتمد على اعتقاد هذه الصفة، فوجدنا المتكلمين صادقين في مقاصدهم وأخبارهم، فإسماعيل بن أبي الجهم صدق في ثنائه، وفي طلبه، وفي تفسيره وتوضيحه، والخليفة صدق في سؤاله وفي ثنائه وفي عطائه، ومَن أثنوا على الخليفة كانوا صادقين في ثنائهم ومديحهم للخليفة لِصِدق مقصد الخليفة في التعبير عما في خلجات نفسه بل أكد على قضية الصدق في قوله: "وَلَوْ أَنَّ كُلَّ قَائِلٍ يَصْدُقُ، وَكُلَّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ، مَا جَهِدْنَا قَائِلاً، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلاً.."، ومما سبق نحكم على نجاح التواصل في قاعدة الكيف التي تقتضي أن يكون المتكلم صادقًا ويمتلك البيّنة على ما يقول.

ثم ننتقل إلى قاعدة الملاءمة ويسميها بعضهم قاعدة المناسبة أو العلاقة، أو الصلة، أو الإفادة(قدور، 2021، ص87) ، والمعنى لذلك كله أن يلائم المقالُ مقامَ المخاطب، أي عدم الخروج عن الموضوع إلا إذا كان هناك استلزام حواري مقصود لذاته، والقاعدة تقتضي أن يكون الإسهام في الحوار المتبادل بين المتكلم والمخاطب مناسبًا وملائمًا للحال والمقام، وهذا جليٌّ في النص فقد كان المتكلم يحترم المخاطب ويضعه في المكانة المعتبرة ويستأذنه كقوله: "أَفَأُطِيلُ أَمْ أُوجِزُ؟"، وكان الرد من الخليفة مناسبًا وملائمًا: "بَلْ أَوْجِزْ"، وسؤال الخليفة له: "وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا؟"، والرد عليه: "أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِي"، ثم رد عليه: "نِعْمَ الْمَسْلَكُ سَلَكْتَ، أَغْضَضْتَ بَصَرًا، وَأَعْفَفْتَ فَرْجًا، وَرَجَوْتَ نَسْلاً". فجاء الحوار سلسًا ومهذبًا ونقيًا وصادقًا ومناسبًا للحال والمقام والمقال.

وهنا ننوه بأهمية المقصدية في توجيه الفعل الكلامي فقد اهتم التداوليون بالقصد اهتمامًا بالغًا وجعلوا قصد المتكلم المعوَّل عليه في نجاح الاتصال من عدمه، والقصد من الكلام له أثر في توجيه الدلالات اللغويَّة للوقوف على المضمر منها، فهناك نية داخلية تدفع المتكلم وتطفو على حديثه بغية لفت انتباه المخاطب ودعوته للتعرف على غرضه من التواصل، تشكل قوة الدفع للتواصل الكلامي مهما كان تنوُّعها النفسي وكانت استراتيجيتها التداوليَّة(أزابيط، 1996، ص497) ، ويتحصل بعد ذلك على الأثر المنتظر، وما إن يتعرَّف المخاطب على ما في غرضه والحصول عليه، تتحقق النتيجة من ذلك(بلانشيه، 2007، ص139).

وطه عبدالرحمن يؤسس للدلالة اللغويَّة على قصود المتكلمين، ويتخذ القصد الصورة العامة التالية: إن قول القائل لا يمكن أن يفيد شيئًا إلا إذا قصد القائل الأمور الثلاثة الآتية: أن يدفع قولُه إلى نهوض المخاطب بالجواب، ويتعرف على قصده، ويكون انتهاضه بالجواب مستندًا إلى معرفته بالمتكلم(عبد الرحمن، 2000، ص45).

ونستند بعد أن بيَّنَّا أهمية القصدية على نجاح الفعل الكلامي عند طلب إسماعيل بن أبي الجهم لألف دينار ليزوج ولده فقد فهم مقصوده وقال الخليفة: "نِعْمَ الْمَسْلَكُ سَلَكْتَ، أَغْضَضْتَ بَصَرًا، وَأَعْفَفْتَ فَرْجًا، وَرَجَوْتَ نَسْلاً" فانظر التفسير الشامل والكامل لبيان وإيضاح مقصود المتكلم وما وصله من تأثير حتى قال ذلك، أثنى عليه بعدة صفات أنه سيغض بصرًا، ويعفُّ فرجًا، ويرجو نسلاً، فكأن المخاطب نهض بالجواب وتعرف على قصده، واستند على السجل المعرفي لمعرفته ومعرفة السجل الديني، والسجل المعرفي الديني هو كل ما يخص المعارف الشرعية ويعرفها من ينتمي لهذا الدين، كأركان الإسلام، والفرائض، والسنن... وغيرها.

وبعد أن بينا قاعدة الملاءمة في المقام والحال، ندلف إلى القاعدة الأخيرة في الاستلزام الحواري وهي قاعدة الصيغة (الجهة): الوضوح والإيجاز، والترتيب وعدم الغموض. وقد تعددت مصطلحاتها عند الدارسين مثل: التعبير، والأسلوب، والشمولية، والوضوح، والطريقة، والكيفية(قدور، 2021، ص88) ، ويضع جرايس لها أربعة شروط يقول فيها: "ليكن تدخلك واضحًا، ليكن تدخلك موجزًا، اجتنب الغموض، اجتنب الالتباس"(المتوكل، 2010، ص26) ، والهدف من ذلك هو ضبط العمليَّة التخاطُبية، ولا يحتاج المخاطب للتأويل والتفسير، وفي الأصل هو الهدف الرئيس لقاعدة مبادئ التعاون، ألَّا يكون هناك عناء في التفسير والتوضيح؛ لأن أغلب المشاكل والأزمات من التفسيرات الخاطئة، فالنص هنا خالٍ من التعقيدات والتفسيرات الخاطئة لوضوح المقاصد، فمن بداية النص حتى آخره كان النص لا يشتكي من تعقيد أو التباس على المتكلم والمخاطب، أو غموض وإبهام، بل أبدع المتكلم بجعل المخاطب يفسر مقاصده وينال جوائزه. فيكون النص نجح في التواصل على ميزان قواعد الاستلزام الحواري، فقد كان على قدر المطلوب من الكلمات والمفردات. والأفعالُ الكلامية كانت صادقة وملائمة للمقام والمقال، وواضحة وموجزة ومرتبة، يخلو من الغموض والإبهام.

مبدأ التصديق

هذا المبدأ اختاره طه عبدالرحمن، وبعد قراءتي لهذا المبدأ وجدته صالحًا لتطبيقه على نصوص تراثنا؛ لملائمته، وطه عبدالرحمن هو من سعى البراجماتية بالتداوليَّة، وله فضل كبير في إبراز نظريَّة أفعال الكلام في كتابه: "التداوليَّة عند العلماء العرب" دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي. فله قصب السبق في تطبيقها -نظرية أفعال الكلام- على التراث. ومن هذا المنطلق وجد طه عبدالرحمن في أثناء مراجعته للاستلزام الحواري، والتأدب الأقصى (ليتش)(عبد الرحمن، 1998، ص246) ، ومبدأ التهذيب(الشهري، 2004، ص100) ، بعض الثغرات والنقائص التي تشكو منها، فاقترح هذا المبدأ؛ ليسد هذا النقص سماه مبدأ التصديق، استمدَّه من التراث العربي والإسلامي، وصاغه على عبارة: "لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك"(عبد الرحمن، 1998، ص250) ، وخلاصته أنه يقوم على عنصرين أساسيين أحدهما تبليغي؛ أن يصل الخطاب صادقًا دون تدليس، والآخر تهذيبي يتعلق بتطبيق قاعدة الصدق في الأفعال.

ويتفرع هذا المبدأ في جانبه التبليغي مفصلاً عند الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" وهي(عبد الرحمن، 1998، 249):

- أن يكون الكلام لهدفٍ إما أن يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا.
- يكون في الوقت المناسب.
- يوجز على قدر حاجته.
- يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه الشروط قد اتضح بيانها وزاد بريقها في النص، فعلل سبب مجيئه إسماعيل بن أبي الجهم بأن له حوائج يريد من الخليفة قضاءها، فبعد ثنائه قام باستئذانه للدخول في غرضه فاختار الوقت المناسب، أما الإيجاز فقد مرَّ بنا ذلك وعرجنا عليه، فلسنا بحاجة لأن نكرر ذلك، وأما الألفاظ فكانت سلسة لا يعتريها غرابة أو وحشية أو معقدة لدرجة يصعب فهمها، بل كانت مخيرة اللفظ وسهلة المخارج.

أما الجانب التهذيبي فيأتي في ثلاث قواعد(عبد الرحمن، 1998، ص250):

- قاعدة القصد.
- قاعدة الصدق.
- قاعدة الأخلاق.

وما يهمنا هو الجانب التهذيبي الأخلاقي فمبحثنا يدرس أخلاقيات فعل الكلام.

قاعدة القصد

القاعدة تقول: في كل مرة تفحَّص قصدك قبل أن تقوله للغير، ونتيجة ذلك إصابة الهدف، فالقصد هو الذي يقود الخطاب إلى ما يريده المتكلم، وأن يكون واضحًا للغير، ولا تجعل المخاطب يحتاج لسؤالك، فإذا نظرنا إلى إسماعيل بن أبي الجهم فكان قصده واضحًا من أول طلبه حتى انتهى به المطاف لينال مطلبه، وهذا نتاج وضوح القصد وعدم إبهامه وإبهامه، فكما ذكرنا سابقًا أن النية هي الدافع الرئيس للمتكلم بأن يبرز خطابه حتى يتعرف عليه المخاطب ويتأثر به.

قاعدة الصدق

مفاد هذه القاعدة أن تكون صادقًا فيما تنقله إلى غيرك في قولك وفعلك، فهي تمارس ثلاثة مستويات: الصدق في الخبر، والعمل، ومطابقة القول في العمل(عبد الرحمن، 1998، ص251). وصدقه كفيل بنجاح الفعل الكلامي، وهذا الصدق له شروط، أبرزها:

- بيئة المتحاورين ومعرفتهما لها.
- استعدادهما وصدق النية والمشاعر بينهما.
- مناسبة المقام.

فيرى (أوستين) مخالفتها إخفاقًا في الفعل الكلامي(قدور، 2021، ص85) ، فالعرف في هذا المجلس كان واضحًا نستخرج منه الكثير، مثل: احترام الكبير وتوقيره بتقديمه ليأخذ مساحته في الثناء وقول ما في خلجات نفسه، ومعرفة إسماعيل بن أبي الجهم في إدارته للحديث والخطاب مع الخليفة، واستشهد بعض المؤلفين له وأدرجه من ضمن الخطب، فيرى أن هناك سمات لها قريبة من الخطبة، منها: التسلسل المنطقي، والتأثير على المخاطب، والحجج الواضحة. ويدل النص على كمال أهلية المتكلم، وأهلية المخاطب، وأهلية المستمعين فقد بيَّنت الأفعال الكلامية ذلك من خلال السؤال والجواب والتوكيدات والأخبار، ونجد الخليفة في ثنائه على المتكلم، وأصحابه في المجلس بثنائهم للخليفة صدقًا في المشاعر بينهم جميعًا، ومما سبق نجد أن المتكلم والمخاطب والمستمع صدقوا وأخلصوا في استخراج مكنوناتهم واتضح ذلك في ألسنتهم ما لامسناه في حرارة الحوار بينهم.

قاعدة الإخلاص

تعتمد هذه القاعدة على المودَّة مع الآخر متجردًا من أغراضه، فالمتكلم ليس له هدف أو غرض من المخاطب، فتقضي "أن يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه، وليس هذا التقديم حطًّا من مكانة المتكلم وإضاعةً لحقوقه؛ فلا يحط هذا التقديم من قدر المتكلم، لأن الحقوق ثابتة له وليست منتحَلَة... كما تنبني على التأدب المتبادل... ويتجلى التبادل في التجرد مِنْ وعَنِ الأغراض"(عبد الرحمن، 1998، ص252) ، فتتكون المحبة والإخلاص بين الطرفين، وهذا ما وجدناه عند الخليفة في ثنائه على إسماعيل بن أبي الجهم، فهو لا يريد منه شيئًا، فهو خليفة، لكن إخلاصه لموقفه وصدق المتكلم في بيان حاجته أدى ذلك إلى الإخلاص من الخليفة في مدحه والإشادة به، وكذلك أصحاب الخليفة بالثناء عليه، فهم لا ينتظرون منه عطاءً، وإنما صدقوا في ذلك، لصدق الخليفة في قوله المبني على قصده، فنستشفُّ من النص أن ثناءهم خالص ليس فيه ما يشوبه أو أهداف مُرادة وإنما ما يُكِنُّون من صدق المشاعر لممدوحهم، وإرادة الخير له.

المبحث الخامس: وظيفة الفعل الكلامي

نظريَّة الأفعال الكلاميَّة التي أسَّسها (أوستين) وأقام بنيانها (سيرل)، ووسع مداركها (جرايس) في مبدئه كانت النواة الأساسية لدراسة الحِجاج، وحِجاج الفعل الكلامي هو حِجاج لغوي مختص باللغة دون غيرها، فهو يحمل وظيفة حِجاجيَّة، خاصَّة في البِنية جُملةً وقولاً، فتكون دراسة الوظيفة عن طريق الظواهر الصوتيَّة، والصرفيَّة، والنحويَّة، والدلاليَّة، والتداوليَّة(العزاوي، 2010، ص11) ، فأن تسند الكلمات إلى بعضها (نحويًّا)، وتحيل بها على مراجعها (دلاليًّا)، فيتحقق الفعل القضوي (تداوليًّا)، فإذا استفهمتَ أو أمرتَ فأنت تحقق فعلاً إنجازيًّا، وإذا حققتَ فعلاً إنجازيًّا فهناك أثر على المخاطب فتدفعه إلى تعديل موقفه وعادته، فأنت بذلك أنجزت فعلاً تأثيريًّا، و(سيرل) حينما تحدث عن القصد والمواضعة، التي تعدُّ شرطًا أساسيًّا في كل عمليَّة كلاميَّة فهي تحمل في جوهرها إثباتًا وحجة تدل على قصد المتكلم ما يجعل الحجاج شرطه القصديَّة، وبناءً على ذلك يرتبط الفعل الكلامي الأدائي بالحِجاج من خلال الإنجاز. والأفعال الإنجازيَّة بحسب رؤيته(الصراف، 2010، ص61).

فالإخباريات الغرضُ منها نقل المتكلم لرؤية جديدة بدرجة متفاوتة من خلال قضية محددة تعبر عن هذه الرؤية وتعهده بصدق القضية المُعبَّر عنها، والغرض الإنجازي العام هنا هو التقرير، مثل النفي: قوته الإنجازيَّة تكمن في التقرير، والمباشرة في الجملة الاسمية.

وفي **التوجيهيات** غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، والتأثير عليه ليفعل شيئًا معينًا، فحينما أوجه المخاطب فالمعنى الحقيقي أن أؤثر عليه ليفعل ما أريد، أو أقنعه بما أريد، أو أغريه بما أريد.. فأسلوب الأمر مثلاً يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين يتم فيه إقناع المخاطب، وأسلوب الاستفهام توجيه المخاطب ليجيب عمَّا يريده المتكلم دون الخروج لغير المقصود.

والالتزاميات، غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيءٍ ما في المستقبل، وشرطها أيضًا الإخلاص. فحين يلتزم المتكلم بأمرٍ ما أمام المخاطب فهو يقنعه بشيء كما في النص، بطلب المتكلم مالاً ليُزوِّج أولاده، فهو يُبيّن للمخاطب أنه ملتزم بذلك حينما يصلني المال، فقد تكون أيها المخاطب اشتركت في الأجر وأنا ملتزم بفعل ما قلتُ ووعدتُ، لكي يقنع المخاطب بتلبية طلبه.

والتعبيريات، غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان، على أن يكون صادقًا. كالشكر والتهنئة والاعتذار، والندم(الصراف، 2010، ص62).

والإعلانيات ما حدث من أمر الخليفة في إعطائه للمال.

هذا النص الذي احتوى على أكثر من فعل إخباري وتوجيهي وتعبيري والتزامي، ظهرت فيه القوى الإنجازيَّة جليَّة: "إِنَّ لِي حَوَائِجَ أَفَأَذْكُرُهَا؟ قَالَ: اذْكُرْهَا. قَالَ: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرِي، وَأَنْ يَنْفِيَ فَقْرِي فَعَلَ. قَالَ: وَمَا الَّذِي يَجْبُرُ كَسْرَكَ، وَيَنْفِي فَقْرَكَ ، قَالَ: أَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ، وَأَلْفُ دِينَارٍ. قَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابنَ أَبِي جَهْمٍ رُمْتَ مَرَامًا صَعْبًا. بَيْتُ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتَ"(البغدادي، 2019، ص174).

الفعل الكلامي التوجيهي بالاستفهام: "أَفَأَذْكُرُهَا؟" القوة الإنجازيَّة: الإذن وطلب الإجازة، ثم أردف في بيانها "كَبِرت سني"، والطاقة الحجاجيَّة في "كبرت سني" واضحة وجليَّة؛ حيث تُعطي شعورًا بالعجز والوهن، وكبير السن لا يستطيع العمل مثلما كان في شبابه، وهذا سبب مجيئه إليك أيها الأمير، ثم أردف بدليلٍ إقناعيّ: "كَبِرَتْ سِنِّي، وضَعُفَتْ قُوَايَ" داعم وشهادة منه بأنه ضعف، والفعل الكلامي هنا يوحي بأنه كان قويًّا لا يحتاج لأحد، أما اليوم فضعفت تلك القوة، و"سمات الشباب في ذهن المخاطب موجودة لديه، لأن السلم العام مقسم إلى مراحل: طفولة – شباب - كهولة"(الشهري، 2004، ص533) ، فمن الطبعي هذا السلم موجود لدى المخاطب ومن ثَم يؤثر عليه هذا التسلسل في حياة الإنسان، ومباشرته للتصريح بذلك تؤثر عليه أيضًا، فالاعتراف بالضعف ليس بالسهل، ثم أردف دليلاً ثالثًا باستخدام أسلوب التأكيد والتلطف، واستعمال الألقاب من الصفات التي تقوي الحِجاج، وتعطي سلمية في الحوار،

وتقرب الصلة بينهما، ثم طلب أن يجبر كسره وينفي فقره، والتعبير بالجملة الفعلية لها قوة إنجازيَّة عالية تدل على التغيير في حال تكرُّمك في عطائنا، فإذا كان هناك ضعف وكِبَر سن فيوجد كسر وفقر، وهنا المرسل استخدم البلاغة في خطابه فلا يمكن القول أن تجبر فقري، وتنفي كسري!، فالجبر مناسب للكسر، والنفي مناسب للفقر، ثم جاء الفعل الكلامي من الخليفة" يا ابن أبي الجهم ما يجبر كسرك وينفي فقرك؟"، الفعل الكلامي التوجيهي في النداء هنا قوته الإنجازيَّة التنبيه والطلب، فهو توجيه لابن أبي الجهم أن يذكر المال الذي يكفيه، وهنا نستشفُّ أن ابن أبي الجهم قد أثر على المخاطب في طلبه. وقد يقول قائل: لماذا؟ نقول: سؤال الخليفة فيه مفردات مقتبسة مما قاله ابن أبي الجهم، "يجبر كسرك، وينفي فقرك"، فحينما يستجيب المخاطب ويكرر كلامك فإنك قد أثرت عليه سواءً سلبًا أو إيجابًا، ثم أوضح ابن أبي الجهم ما يريد من المال ليصلح حاله، بالفعل الكلامي "ألف دينار، وألف دينار، وألف دينار"، كان بالإمكان أن يقول: ثلاثة آلاف دينار، ويختصر، لكن أراد المتكلم ذلك لأمرين: أحدهما دفع المتكلم عن نفسه ظن السامع فهو يؤكد ذلك ويريد تحقيقه، وثانيهما ذكر ذلك مجملاً حتى يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها؛ لتكون حجته أقوى وأمضى وأكثر تأثيرًا على مخاطبه، لكن الخليفة أبدى صعوبة الأمر وأنه شديد على بيت المال، ثم سأله الخليفة بعد ذلك: "ألف دينار لماذا؟"(البغدادي، 2019، ص147) ، هنا فعل كلامي توجيهي، قوته الإنجازيَّة: توجيه المخاطب لأمر ما، خرج به المتكلم إلى الطلب ومعرفة السبب، وبعد هذا التوجيه سيكون على ابن أبي الجهم حمل ثقيل بكيفية إقناع الخليفة والوصول إلى هدفه المنشود، بعدما أخبره بثقل المال المطلوب على بيت المال، وهذا ما سنعرفه في هذا النص، أجاب بعد ذلك ابن أبي الجهم: "أقضي بها دينا قد فدحني حمله، وأرهقني أهله، قال: نِعْم المسلك سلكته، دينًا قضيت، وأمانة أديت"(البغدادي، 2019، ص147) الفعل الكلامي "أقضي" غرضه الإنجازي: التزام المتكلم بفعل أمر في المستقبل، فكأنه يقول: هذه الألف دينار أعدك أن أقضي بها دينًا قد فدحني أمره.، وهنا جاءت "هيمنة الجُمل الفعلية لوظيفة حِجاجيَّة إقناعية، فهي أكثر تعبيرًا عن الحركة والتغير"(حسيني، م7 ع1، ص133) ، والدَّيْن كما هو معروف هَمٌّ في الليل وذُلٌّ بالنهار، فأبدع المتكلم في اختيار لفظ "حمله" فلها طاقة حِجاجيَّة عالية تدل على ثقل المحمول، و"أرهقني أهله"، جملة لها طاقة حِجاجيَّة أيضًا تدل على أعجلني وغشيني(البغدادي، 2019، ص147) ، فكون الدَّيْن أصلاً هو حمل كذلك أشغلني أهله بطلب سداده على وجه السرعة، فأصبح حملاً فوق حمل، فكان التأثير واضحًا على المخاطب، فاستجاب لذلك وأيده، ثم سأله: "وألف دينار لماذا؟"(البغدادي، 2019، ص147) ، فقال: "أُزوِّج بها مَن أدرك من ولدي، فأشُدُّ بهم عضدي، ويكثر بهم عددي، قال: ولا بأس، أغضضتَ طرفًا، وحصَّنتَ فرجًا، وأمرت نسلاً"(البغدادي، 2019، ص147)، الفعل الكلامي "أزوج بها.."، قوته الإنجازيَّة: التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، فكأنه يقول: إذا أعطيتني هذه الألف فسأزوج بها مَن أدرك من ولدي.، ومقصدي من هذا الزواج شد العضد، والثانية تكثير العدد، فلا يمكن أن يتم هذا الوضع إلا بالزواج، ولا يمكن للزواج أن يتم إلا بالمال!، والمال عندك وأنت سببه، فإن تمكنت منه فسيحدث ما وعدتك به، ولاقى ذلك الخطاب استجابةَ المخاطب، بل وتأييده في جوابه، حيث زاد على أدلة ابن أبي الجهم التحصين، وفي هذا الفعل "حصَّنت" دلالة خفية نستدل بها على حب الخليفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأييده لدليلَي ابن أبي الجهم، يدعم قولنا: إن الخليفة يريد أن يعطيه ما يطلب في الأخير، ففي الفعل الكلامي الأول لدينا أنه كرر الخليفة في استفهامه ما قاله ابن أبي الجهم، وفي الثانية دعم دليله بدليل آخر هو التحصين، بعد ذلك سأل الخليفة "وألف دينار لماذا؟"(البغدادي، 2019، ص147) ، فرد عليه: "أشتري بها أرضًا فأعود بفضلها على ولدي، وبفضل فضلها على ذوي قرابتي، قال: ولا بأس، أردتَ ذُخرًا، ورجوت أجرًا، ووصلت رحمًا"(البغدادي، 2019، ص147) ، والفعل الكلامي "أشتري" من الوعديات، قوته الإنجازيَّة: الوعد، فقدم النتيجة وهي الأرض التي تعطي، وعطاؤها سيكون لأولاده وذوي القربى، فهو يعد الخليفة بأن هذه الأرض ستكون عونًا لي وثمرتها لأولادي وقرابتي، ولن يقف عطاؤك عندي فقط، بل سنبذل الجهود حتى تصل إلى مستحقيها، فما كان من المخاطب إلا أن وافق على ذلك وأعطاه: "قد أمرنا لك بها، فقال: الله المحمود على ذلك، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيرًا"(البغدادي، 2019، ص147) ، وجاء الفعل التعبيري "الله المحمود..." قوته الشكر والامتنان على تلك العطية، والتعبير خاص بالمتكلم، طاقته الحجاجيَّة في بيان شعوره للمخاطب حتى لو لم يشاركه في ذلك. بعد هذه القوى الإنجازيَّة، والحوار الجميل أثنى هشام بن عبدالملك على السائل فقال: "تالله ما رأيت رجلا ألطف في سؤال، ولا أرفق في مقال من هذا. هكذا فليكن القرشي"(البغدادي، 2019، ص147). الفعل الكلامي الخطابي هنا القَسَم وهو قَسَم الإخبار، قُصد به توكيد جوابه، وغرضه التأكيد، قوته الإنجازيَّة: الإعجاب، والطاقة الحجاجيَّة في: "ألطف في سؤال، ولا أرفق في مقال من هذا" تدل على سبب الإعجاب وهي على صيغة التفضيل، وذكرنا ما لفعل التفضيل من طاقة حجاجيَّة تؤثر وتقنع المخاطب وتوجهه، وقد عد بعضهم التعجب من صور "الإنشاء غير الطلبي وعرفها على أنها استعظام يصحبه الجهل"(الصراف، 2010، ص115) ، فيريد الخليفة من ذلك إقناع من عنده بالأمر المراد تقريره، واسم الإشارة هنا له مزية، ولا يخفى على الباحث ما في العنصر الإشاري من دلالة على وجود مرجع ما بصفة ما، فيكون المخاطب قد فهم أن الإشارة في "من هذا" هي تعظيم المشار إليه، ونشير هنا إلى أن النص اتسم بعدة سمات: تسلسل الأفعال الكلاميَّة، وتعددها، وقوتها الإنجازيَّة عالية، وشدة تأثيرها، حيث عرض ثلاث قضايا بطريقة مقنعة ومؤثرة في سلسلة أفعال كلاميَّة كما رأينا، وهي: قضاء الدين، وتزويج أولاده، وحرث أرض ليأكل هو وأولاده وقرابته.

والأفعال الكلاميَّة تسهم بأدوار مختلفة في الإنجاز حسب الاستعمال، فيستعمل المتكلم أغلب أصناف الفعل التقريري، أو التوجيه، أو الالتزام، أو التعبيري، لتدعيم وتأكيد وجهة نظره، أو للتراجع عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحةً، أو للتنازل عن دعواه أو لتأسيس نتيجة(الشهري، 2004، ص482).

خاتمة:

في ضوء ما سبق، يتضح دور الفعل الكلامي في معالجة النص التراثي، وقد فتح لنا بُعدًا آخر في توسيع آفاق البحث وإدراك خصائص الأفعال الكلامية وما يدور حول النص كالسجل المعرفي، والافتراض المسبق، وأخلاقيات الفعل الكلامي، كالاستلزام الحواري، ووظيفته من خلال "نص إسماعيل بن أبي الجهم وهشام بن عبدالملك أنموذجًا"، فعرفنا أن المجلس في هذا اليوم اتصف بعدة صفات وسمات:

1- كان يوم محفل عند الخليفة.
2- جاءت وفود الحجاز عامة ومن قريش خاصَّة.
3- هناك خطباء تعاقبت على الثناء كما قال جد مولى أبي سفيان: "فَحَضَرْتُ كَلَامَهُمْ رَجُلاً رَجُلاً"، وهذا يستلزم أن الرجل ذو حظوة عند الخلفاء لقربه من الخلفاء والرجال الذين أثنوا على الخليفة.
4- دخول الموضوع الشخصي في الموضوع العام وإجازته من قِبل الخليفة.
5- صفات الرجل القرشي: يحب تأدية الأمانة وتسديد دينه، يحب أبناءه ويرى أنه العائل لهم حتى بعدما كبرت سنه، حكمته وبُعد نظره لطلبه الأخير في شراء الأرض حتى تكون عونًا له ولأولاده ولمن لهم حق عليه.
6- سياسة هشام بن عبدالملك في الحديث والعطاء.
7- معرفة أصحاب الخليفة بحديث الخليفة وما أراد أن يوصله إليهم.
8- تواضع هشام بن عبدالملك: "إِنَّهُ الْمُبْتَدِي وَلَيْسَ الْمُبْتَدِي كَالْمُقْتَدِي" (القرشي، 1989، ص131).
9- نجاح التواصل بين المتحاورين عامة.
10- التسلسل المنطقي، واحترام المراتب، والتوقيت المناسب، وموافقة السجل المعرفي بينهما.
11- وظيفة الفعل الكلامي في الإنجاز والتأثير تحققت في هذا النص من خلال ما مررنا به في وظيفته.

وأخيرًا دراسة المقامات الداخليَّة والخارجيَّة وأنواع السياق والإلمام بها والتحليل على أسسها للنص التراثي، يجعل نتائج الباحث تميزها الدقة والأمانة والصواب. والحكم الأمثل والأصدق لنفي الشك والتربع على عرش اليقين دراسة السياق الآني، وهذا ما نادى به أصحاب هذه النظريَّة فقد لفتت هذه النظرية الانتباه إلى أن اللغة ليست للإخبار ونقل الأفكار فقط، بل تؤدي أيضا وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين كما في النص، وبيَّنت أن شرطي التواصل الإفهام والإقناع، وجدير بالذكر أن نشير إلى أن تراثنا غني بجوانب مهمة في الدرس التداولي وبالفعل الكلامي خاصَّة، فهو منهج صالح للإبحار في نصوصنا التراثية واستخراج نفائسها وبيان معالمها وننظر له نظرة جديدة ومن زوايا أُخر حتى نستكمل الأثر ونصل إلى ذروة الجمال والكمال، وعلى خطا إبداعهم نسير، فيكون الطريق بعد العسر يسيرًا.

ثبت المصادر والمراجع

- أبو السعادات، ضياء الدين، الشجري، هبة الله المعروف بابن، أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود الطناحي، ط: 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م.
- أزاييط، بن عيسى، المعنى المضمر في الخطاب اللغوي، البنية والقيم التنجيزية، مقاربة تداوليَّة لسانيَّة، جامعة مولاي إسماعيل، 1996م.
- إسماعيل، حافظ، التداوليات علم استعمال اللغة، ط: 2، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2014م.
- الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ
- أوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2007م.
- الباز، محمد عبدالسلام، آفاق التداوليَّة في النصوص النثرية، تقديم: محمد العمروسي، ط: 1، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، 2015م.
- البصري، المحسن بن علي، المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.
- البغدادي، أبو علي القالي إسماعيل القالي، الأمالي، دار الكتب والوثائق القومية مركز تحقيق التراث بالقاهرة، 2019م.
- بلانشية، فيليب، التداوليَّة من أوستين إلى فوغمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، 2007م.
- بيرم، الله، التداوليَّة والشعر، ط: 1، دار مجدلاوي، عمان، 2012م.
- دايك، فان، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.

- دلاش، جلالي، مدخل إلى اللسانيات التداوليَّة، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
- ربول، آن، ومورشلا، جاك، التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصُل، ترجمة: سيف الدغفوس، محمد الشيباني، ط: 3، دار الطليعة، بيروت، 2003م.
- السباعي، مصطفى، مقتطفات من كتاب روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر، بيروت، ط1، 1999م.
- السيد، صبري إبراهيم، التداوليَّة مقاصد وآداب، ط: 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2019م.
- الشافعي، أبو عبدالله محمد القلعي، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985م.
- الشهري، عبدالهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداوليَّة، ط: 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004م.
- صحراوي، مسعود، التداوليَّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربي، ط: 1، دار الطليعة، بيروت، 2005م.
- الصراف، علي محمود، في البراجماتية، الأفعال الإنجازيَّة في العربية المعاصرة، ط: 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م.
- صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- صلاح، إسماعيل، نظريَّة المعنى في فلسفة بول جرايس، ط: 1، دار قباء الحديثة للنشر، 2007م.
- الطهطاوي، رفاعة، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر، القاهرة، ط1، 1419هـ
- عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط: 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.
- عبدالرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط: 2، المركز الثقافي العربي، 2000م.
- العزاوي، أبو بكر، الخِطاب والحِجاج، ط: 1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، 2010م.
- علي، يوسف بن أبي بكر محمد، السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، ط: 2، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.
- عمران، قدور، البُعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط: 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007م.
- غراند، روبرت ديبو غراند، ودريسلر، لفغانغ ، أبو غزالة، إلهام، وأحمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتاب، ط: 1، 1992م.
- فرانسواز، أرمنكو، المقاربة التداوليَّة: ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، 1997م.
- القرشي، أبو بكر الأموي المعروف بابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م.
- قريماس، الجرداس جوليان، كورتيس، جوزيف، معجم السيميائية، ترجمة: أحمد الودرني، ط: 1، دار المتوسطية، تونس، 2020م.
- القلقشندي أحمد، ثم القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.
- الكناني، أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط:2، 1987م.
- كنون، أحمد، التداوليَّة بين النظريَّة والتطبيق، ط: 1، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.
- لونجي، جوليان، سرفاتي، جورج إليا، قاموس التداوليَّة، ترجمة: لطفي السيد منصور، ط: 1، الرافدين، بيروت، لبنان، 2020م.
- المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغويَّة، ط: 1، دار الكتب الجديدة ليبيا، 2010م.
- المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية، ط: 2، دار الكتب الجديدة، 2010م.
- المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط: 1، دار الأمان، المغرب، 1986م.
- موشلر، جاك، ريبول، آن، القاموس الموسوعي التداولي، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.
- الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ط: 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- نحلة، محمود بن أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط: 1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م.

رسائل دكتوراه:

- كاده، ليلى، المكون التداولي في النظريَّة اللسانيَّة العربية ظاهرة الاستلزام الخطابي أنموذجًا، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج خضر باتنة، 2011-2012م.

مجلات وبحوث ومنشورات:

- حسيني، مختار، وصحراوي، مسعود، القيم التداوليَّة أفعال الكلام والحجاج في الخطاب الشعري قصيدة الغاضبون لنزار قباني أنموذجًا، جامعة الأغواط، الجزائر، مجلة الباحث، مجلد 7، العدد 1.
- قدور، رندة، وأحمد، محمد، الاستلزام الحواري: قراءة في تعدد المصطلحات، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد 1، 2021م.